قيمة الرحمة في السيرة النبوية

د.عبد الله بن علي بن أحمد القرني

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة الثقافة الإسلامية ـ
بكلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى
مكة المكرمة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يومن الدين.

أما بعد:

فإن الله اصطفى لنا الدين، فأنعم علينا بأن جعلنا مسلمين، وأرسل إلينا رسولاً كريماً هو خاتم أنبيائه، ووصفه بأنه أوتي خلقاً عظيماً، ليكون قدوة للناس في إيمانه، وعبادته، ورحمته، وحكمته.

فكانت رسالته وسيرته رحمة للعالمين، وبياناً عملياً للتعامل مع الناس، وهكذا كان أصحابه وأهل سنته أرحم الخلق بالخلق.

والأخلاق والقيم في الأمم هي أساس رفعتها ورقي حضارتها، فلا تنهض الأمم إلا بأخلاقٍ وقيمٍ ترفع من شأنهم، وتبعدهم عن الرذائل، وتبني أمجادهم بصلاح أخلاقهم.

والنبي الكريم مُحَمَّد ﷺجعله الله قدوة للمؤمنين في أفعاله وأقواله وسكتاته، فالكتابة عن سيرة رسول اللهﷺ شرف كبير، وميدان علمي مليء بنفائس الهدايات والعلوم، وهو ما دعاني أن أكتب في هذا الموضوع، محبة له ﷺ، ولعلني أصيب شيئاً من هداية سيرته فأعمل بها.

أسباب اختبار البحث:

1 -أن في الاهتمام بجانب من جوانب سيرة النبي ﷺ وإبرازها تجديداً في الكتابة عن سيرتهﷺوالتي نجدها مبثوثة في كتب السير والحديث.

2 -أهمية الحديث عن الرحمة في التواصل الإنساني، والرقي الحضاري للمجتمعات البشرية.

3 -حاجة البشرية اليوم إلى ميثاق رحمة يحفظ لها ممتلكاتها، ويسهم في تكوين الروابط بين المجتمعات والثقافات المختلفة.

مشكلة البحث: هو بيان قيمة الرحمة في سيرة النبي في أقواله ومواقفه المختلفة، وأثر ذلك على الإنسانية.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى بيان ما يلي:

- بيان جوانب السيرة النبوية المضيئة لصلاح الإنسانية.
- اظهار جوانب الرحمة في سرة المصطفى ﷺ وشمولها في العبادات والمعاملات.
- اظهار جوانب الاقتداء بالنبي ﷺ في خلق الرحمة، وأثره في حسن التعايش الإنساني.

أهمية البحث:

- ابراز قيمة الرحمة في سيرة المصطفى ﷺ، في حين دهر كثر فيه تشويه صورة الإسلام ونبيه الكريم.
- التجديد في عرض السيرة النبوية، ووقائعها؛ بذكر المواقف الكبرى التي كان لها أثر كبير في السيرة، وما تضمنته من هدايات للبشرية.
- المساهمة في معالجة كثير من الأخطاء التي وقعت فيها بعض المجتمعات الإسلامية، والتي ابتعدت عن سيرة النبي الكريم ﷺ.
- ابراز الاقتداء بالنبي الكريم مُحَمَّد ﷺ، وأخلاقه ومن ذلك خلق الرحمة العظيم.

منهج البحث: اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع الأحاديث والمواقف التي جاءت في السيرة النبوية وأظهرت جوانب الرحمة في حياة المصطفى ﷺ.

خطة البحث: وتشتمل على:

- مقدمة وتمهيد.
- المبحث الأول: التعريف بقيمة الرحمة ومجالاتها في الكتاب والسنة.

- المبحث الثاني: مظاهر الرحمة في سيرة النبي الكريم في دعوته وعبادته وجهاده.
- المبحث الثالث: مكانة الرحمة في شخصية النبي الكريم.
- الخاتمة والتوصيات.

ومن الله سبحانه وتعالى استمد العون والسداد والتوفيق.

التمهيد:

بعث الله نبيه الكريم ﷺإلى الناس يدعوهم إلى مكارم الأخلاق، ويعلي من قدرهم وكرامتهم، ويحذرهم من سُبل الضلال التي تفسد عليهم عقولهم وأخلاقهم.

أدبه ربه فأحسن تأديبه، فكان عليه السلام على خلق عظيم كما وصفه ربه أصدق القائلين بقوله: (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)[1]، فهو المثل الأعلى في أسمى الأخلاق وأنبلها مع أصحابه وعشيرته والناس اجمعين

ومن أكمل أخلاقه ﷺ الرحمة،فكانت بعثته ﷺ رحمة للعالمين، كما قال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**)[2].

وكان الرفق والرحمة ملازمين للنبي ﷺمن بدء أمر دعوته للناس، وحتى آخر كلماته التي نصح بها أمته، فكانت حياته وأقواله كلها تفيض رحمة ورأفة بالناس، حتى أننا لا نجد وصفاً للنبي ﷺ أصدق أوفى من قول الله تعالى عنه في ذلك: **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)**[3].

(1)سورة القلم (4).
(2)سورة الأنبياء (107).
(3) سورة التوبة (128).

ومن جميل ما تميزت به المجتمعات الإسلامية وكانت صبغة لها على مر القرون واختلاف الأحوال، أنها مجتمعات متراحمة، يعطف فيها الكبير على الصغير، ويشعر ويتألم الجار لألم جاره ويحسن إليه ولا يؤذيه، ويكرم الرجل ضيفه ويحسن إليه، ويبر الولد بوالده ويخفض له جناح الذل من الرحمة، ويتصدق الغني على الفقير والمحتاج، وهو في كل ذلك يرجو الجزاء الأوفى من الله، (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**)[1].

فالأخلاق الإسلامية –بمافيها الرحمة– تُرضي القلب والوجدان، وتقي الفطر والعقول السليمة، وتصلح بها حياة الناس، بل تكون سبباً لسعادتهم ورقيهم.

فبالرحمة والرفق تعمر الديار، ويرتقي الإنسان، وتصلح الأرض،فعن عائشة أن النبيﷺ قال لها: "إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظَّه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار". [2]

كما أن الرحمة وسائر الأخلاق التي دعا إليها النبي الكريم ﷺ لها ارتباط وثيق بالعقيدة والعبادة والسلوك الإنساني، فكلما أراد المؤمن القرب من النبي الكريم وصحابته يلزمه ولابد أن يحرص على الأخلاق وتمامها،فعن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أحبكم إليّ وأقربكم في الآخرة محاسنكم أخلاقاً، وإنَّ أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة مساوئكم أخلاقاً: الثرثارون، المتفيهقون، المتشدقون". [3]

---

(1) سورة الإنسان (9).

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، مؤسسة الرسالة، بتحقيق نخبة من العلماء أشرف عليهم الشيخ: شعيب الأرناؤوط، الطبعةالأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، رقم الحديث: (25298).

(3) رواه أحمد، رقم الحديث: (17767)، وابن أبي شيبة في مصنفه، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1409هـ،

=

وفي هذا البحث محاولة لتتبع مواقف السيرة النبوية التي ظهرت فيها معالم رحمة النبي ﷺ، مع ما في طياتها من بيان لتلك المواقف من آثار على المجتمعات الإنسانية، فهي تهديها إلى مافيه الخير في دنياها وآخرتها.

المبحث الأول

التعريف بقيمة الرحمة ومجالاتها في الكتاب والسنة

أولاً: التعريف بقيمة الرحمة:

- القيمة لغة ترجع في أصلها إلى معان متعددة منها: الثمن العادل الموافق لمقدار الشيء أو قيمته، وتأتي بمعنى الاعتدال من قولهم: استقام الأمر أي اعتدل. [1]

وفي الاصطلاح: القيمة لها تعريفات متعددة، ومن تعريفاتها في المجال الإنساني الذي هو مسار بحثنا: أنها " كل ما يتمسك به فرد أوجماعة" [2]، وقيل: "كل ما يقترب من النموذج المثالي للخير في كل مذهب من المذاهب الفلسفية" [3] وعرفها آخرون بأنها: " القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية، كما تختلف الحضارات بسبب تصورها لها، مثل: الحق، الإحسان، الحرية" [4].

رقم الحديث: (25829).

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ،225/12. وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن مُحَمَّد المرتضى الزبيدي، دار الهداية،337/34.

(2) المعجم الأدبي، جبور عبدالنور، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الثانية، 1984م، ص217.

(3) المرجع السابق: ص 217.

(4) الثقافة الإسلامية: نخصصاً ومادة وقسماً علمياً، تأليف: مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود بالرياض، ص14.

- أما عن الرحمة فهي من "رَحِمَ والراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة، والعطف، والرأفة".[1]

فالرحمة: هي الرقة والتعطف والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه وتراحم القوم، رحم بعضهم بعضا، وتأتي على معنى النعمة ومنه قولهم: رحمه الطبيب بأن استقصى علاجه أي أحسن إليه بذلك وأنعم عليه وإن كان قد آلمه. [2]

"والرحمة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان، ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها".[3]

وفي الاصطلاح: " اسم الرحمة موضوع في اللغة العربية لرقة الخاطر وانعطافه نحو حيّ، بحيث تحمل من اتصف بها على الرفق بالمرحوم، والإحسان إليه، ودفع الضر عنه واعانته على المشاق".[4]

وخلق الرحمة من الأصول الخُلقية وكلياتها العامة: ولهذا الأصل فروع أخلاقية متعددة، منها بر الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام اليتيم، والعطف على الفقراء والمساكين والمرضى والخدم وذوي الحاجات، والضعفاء والعجزة وذوي المصائب، ومنها التعاطف بين الإخوان والأصحاب والجيران، وبهذا يتبين أنه من العسير التوصل إلى تعريف دقيق

(1) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الفكر، طبعة 1399هـ، 498/2.

(2) انظر: لسان العرب، لابن منظور، 1968/ ج2 ص 143 1، وانظر: المخصص، ابن سيده، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، 5/ 151-152.

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، البيضاوي، ناصر الدين بن مُحَمَّد الشيرازي، مؤسسة شعبان –بيروت، 1/19-20.

(4) التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، 1984 م، 1/ 169.

عن الرحمة؛ لأن شأن الرحمة كشأن معظم العواطف والانفعالات إنما تدرك وتعرف بظواهرها، لا بحقيقة تكوينها.[1]

ومن معاني الرحمة التي دلت عليها اللغة والشريعة: الرفق والرأفة واللين والعطف، قال الإمام الغزالي رحمه الله: " اعلم ان الرفق محمود، ويضاده: العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب، والفظاظة، والرفق واللين: نتيجة حسن الخلق، والسلامة، وقد يكون سبب الحدة الغضب، فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول اللهﷺ على الرفق وبالغ فيه". [2]

فقيمة الرحمة من أمهات الأخلاق، ومحاسنها، وقد قال النبي الكريم ﷺ: ((إن الله يحب الكرم، ويُحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها)). [3]

(1) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، الطبعة السابعة، 1429هـ. 2/5-6.

(2) إحياء علوم الدين، إحياء علوم الدين، للإمام: أبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1406هـ، (321/4). بتصرف.

(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير، للحافظ: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، دار ابن تيمية- القاهرة، (59286)، والحاكم، في المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ،(48/1)، وقال صحيح الإسناد.

ثانياً: مجالات الرحمة في القرآن والسنة:

من صفات الله التي ذكرت في القرآن صفة الرحمة، وكثيراً ما يأتي التعقيب في كثير من الآيات بـ(الرحمن الرحيم)، ومن أول الآيات التي نقرؤها في كتاب الله (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**)[1].

وقد تكرر لفظ الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاثمائة وخمسة وعشرين مرة، وتكرر لفظ الرحمن سبعة وخمسين مرة، وتكرر لفظ الرحيم مائة وتسعون مرة، ولفظ الرحيم مائتين وسبعة وعشرين مرة، مما يدل على عظيم مكانة الرحمة وقيمتها في القرآن الكريم. [2]

ومن أظهر مجالات الرحمة التي جاءت في الكتاب والسنة ما يلي:

1 -الرحمة في الصلة القائمة بين الله وعباده فيكون بالرضا بحكمه والتسليم لشريعته، والتسليم بأنها رحمة للناس وصلاحاً وفلاحاً لهم في دنياهم وآخرتهم.

والإقرار بأن الله شرع لنبيه ﷺ ديناً عظيماً لم يشرعه لأحد من قبله، وأنه وهب نبيه ﷺ من جميل الأخلاق ما جعله خلقاً عظيماً، فكان فيه ﷺ من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يحد ولا يمكن وصفه، وأنه ﷺ كان رحيماً فيما يأمر به وينهى عنه، مما يُكسب المؤمنين به عظيم الأجور، ويمنع عنهم أنواع الشرور. [3]

---

(1) سورة الفاتحة (1).

(2) انظر: الرحمة في القرآن، إيمان المبروك، رسالة ماجستير من المعهد الأعلى لأصول الدين في جامعة الزيتونة، ص11-12، http://search.mandumah.com/Record/926992

(3) انظر: تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية 1425هـ، (189/8) والبداية

=

والإيمان بأن الشريعة التي أنزلها الله على نبيه اشتملت على كمال الأخلاق ومنها الرحمة، وقد قال النبي ﷺ : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) وفي رواية: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). (1)

والتحلي بخلق الرحمة مما تستجلب به محبة الله ومحبة رسوله للعبد، فهي من محاسن الأخلاق، قال مسروق رحمه الله، كنا جلوساً مع عبدالله بن عمرو يحدثنا، إذ قال: " لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً"، وإنه كان يقول: (إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً) وفي رواية: "إن رسول الله لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً". وقال: (إن من أحبكم إليّ: أحاسنكم أخلاقاً). (2)

وعن أسامة بن شريك قال: سئل رسول الله ﷺ: " ما خيرُ ما أعطي الناس؟ " قال: (خلق حسن)، وفي رواية: " من أحب عباد الله إلى الله؟" قال: (أحسنهم أخلاقاً). (3)

2 -الرحمة في الصلة بين الإنسان وأخيه، فتكون بحسن الخلق معهم والرأفة والرفق بهم، والإحسان إليهم.

فبالرحمة يجتمع الناس ويستمعون لداعي الخير؛ وبفضل رحمة الله على نبيه بأن جعله بيناً رحيماً، اجتمع الناس عليه وسمعوا منه، ولو كان فظاً غليظاً لأنصرف الناس عنه

والنهاية، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى 1408هـ. (39/6).

(1) رواه أحمد: (8939)، والبخاري في الأدب المفرد، طبعة عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ-1984م، (273).

(2) رواه البخاري، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، 1407هـ، (3559)، ومسلم، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،(6103).

(3) رواه أحمد: (18477).والحاكم وصححه: (443/4).

ولوكان معه الحق الواضح، كما قال تعالى: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**)[1].

قال الحسن البصري: (فبما رحمة من الله لنت لهم) هذا خلق مُحَمَّد نعته الله. [2]

" ويدخل في حسن الخلق: الإحسان إلى الخلق، والامتناع عن إيذائهم وذلك يحتاج إلى الصبر، والإحسان إلى الخلق يكون عن رحمة". [3]

3 -الرحمة في الصلة بين الإنسان وذاته.

فعندما آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال له: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: صدق سلمان. [4]

(1) سورة آل عمران (159).

(2) تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد طيب، مكتبة نزار الباز، الطبعة الأولى 1417هـ، 2/ 800.

(3) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام: ابن تيمية، جمع الشيخ: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، (388/15).

(4) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم يرَ عليه قضاء إذا كان أوفق له، (1968).

ونهى النبي ﷺ عن أن يتمنى الإنسان الوقت أو يدعو به على نفسه، عن حارثة بن مضرب قال: أتينا خبابا نعوده فقال: لقد طال سقمي. ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تتمنوا الموت) لتمنيته .[1]

4 -رحمة الإنسان بالحيوان ومن ذلك قول النبي ﷺوهو يحكي عن امرأة بغي غفر الله لها في كلب سقته [2]، وعن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (عُذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لاهي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض).[3]

ولعن النبي ﷺ من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً للرمي. [4]، كما لعن من وسم دابة في وجهها[5].

ورحم النبي ﷺ حُمرة قد أُخذ ولدها، وهي تُفَرّش بجناحيها في الأرض وجداً عليه، فقال: (من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها عليها).[6]

وكل ذلك رحمة وشفقة بها منه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني

مظاهر الرحمة في سيرة النبي الكريم في دعوته وعبادته وجهاده

(1) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب البناء والخراب، دار إحياء التراث العربية، (3376).

(2) رواه مسلم، (2245).

(3) رواه البخاري، (2365)، ومسلم: (2243).

(4) رواه مسلم، (1958).

(5) رواه مسلم، (2117).

(6) رواه أبو داود في سننه، دار الحديث- بيروت، الطبعة الأولى 1388هـ، (2675).

أرسل الله نبيه الكريم مُحَمَّدﷺ رحمة للعالمين، فهو في نفسه رحمة، وشريعته رحمة، ودعوته رحمة، وهدايته رحمة، كما قال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**)[1]، " فجاءت هذه الآية مشتملة على وصفٍ جامعٍ لبعثة مُحَمَّد ﷺ، ومزيتها على سائر الشرائع مزية تناسب عمومها ودوامها، وذلك كونها رحمة للعالمين، وصيغت بأبلغ نظم اشتملت عليه هذه الآية بإيجاز ألفاظها على مدح الرسول ﷺ ومدح مرسلِهِ تعالى، ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة، وبأنها رحمة الله تعالى بخلقه".[2]

فالنبي الكريم ﷺبعث: رحمة للعالمين، "وتفصيل ذلك في مظهرين:

الأول تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة. .

والثاني: إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته.

فمن مظاهر كونه رحمة للناس مظهر تصاريف شريعته، أي: مافيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم؛ لأن قول تعالى(للعالمين) متعلق بقوله: (رحمة).[3]

وجعل الله وجوده أمنة لأهله من العذاب، كما قال ﷺ: (أنا أمنة لأصحابي؛ فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون).[4]

وقال ﷺ في صلاة الكسوف: (ربِ ألم تعدني ألا تعذبهم وأنا فيهم؟ ألم تعدني ألا تعذبهم وهم يستغفرون). [1]

(1) سورة الأنبياء (107).
(2) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 121/17-122.
(3) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 121/17-122.
(4) رواه مسلم، (2355).

فرحمته عليه الصلاة والسلام للعالمين، وللمؤمنين بنوع من الاختصاص، كما قال تعالى عن المنافقين (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).[2]

فقوله تعالى: (وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) " فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون، وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة، بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم".[3]

ورحمة النبي الكريم ﷺ ظهرت في مواقف كثيرة في عبادته ودعوته وجهاده، وسنبين عن ذلك في النقاط التالية:

أولاً: ففي دعوته للناس ورحمته بهم، وحرصه على هدايتهم، قال أبو هريرة ﷺ، قيل: يا رسول الله: ادع على المشركين. فقال: (إني لم أُبعث لعاناً، وإنما بُعثت رحمة).[4]

ولعظيم اهتمامه بهداية الناس من الضلال مع إدبارهم وعدم طاعتهم أثر في نفسه يكاد يّهب نفسه حزناً ، كما قال تعالى: (**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**)[5]. " فهذه معاتبة من الله عز ذكره على وجده بمباعدة

---

(1) رواه أبو داود في سننه، (1194).

(2) سورة التوبة (61).

(3) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، للشيخ: عبدالرحمن بن سعدي،مؤسسة الرسالة، 1420هـ، ص341.

(4) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها، (2596).

(5) سورة الكهف (6) .

قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله، والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيماً". [1]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حين قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: وتفعلون؟ قالوا نعم. قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: " إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أخداً من العالمين، وإن شئت فتحتُ لهم باب التوبة والرحمة". فقال: (بل باب التوبة والرحمة).[2]

ومن ذلك رحمته في هداية الناس وانقاذهم من النار، قال النبي ﷺ: (إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحُجَزِكُم عن النار وأنتم تقتحمون فيها).[3]

" ويشير الحديث إلى ما كان فيه النبي ﷺ من الرأفة والرحمة والحرص على نجاة الأمة".[4] وقد خصص الإمام النووي: باباً بعنوان (شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته

(1) تفسير الإمام الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر، الطبعة الأولى 1422هـ، 151/15.

(2) رواه الحاكم، في المستدرك، كتاب: التفسير، سورة المائدة، 314/2. وصححه،ووافقه الذهبي.

(3) رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب الإنتهاء من المعاصي، (6483)، ومسلم كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، (2284).

(4) فتح الباري، ابن حجر، المكتبة السلفية– القاهرة، الطبعة الرابعة1408هـ،381/11.

في تحذيرهم مما يضرهم"[1] وحين تعرض المسلمون لأذى ثقيف، قالوا : يارسول الله : ادع على ثقيف، فدعا لهم قائلاً: (اللهم اهد ثقيفاً).[2]

ولما قدم الطفيل بن عمرو وأصحابه على رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله إن دوساً قد كفرت وأبتْ، فادع عليها، فقيل: هلكت دوس. فقال ﷺ: (اللهم اهد دوساً، وائتِ بهم).[3] وفي الوقت الذي كانت تجتهد فيه قريش لقتله وإصابته، كان يدعو لهم ويقول: (اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون).[4]

وحين أصابت قريش سنة حتى أكلت الميتة، جاء أبو سفيان وقال لرسول الله ﷺ: " إن قومك قد هلكوا فادع لهم فدعا ﷺ لهم فسقوا".[5] فدعوة النبيﷺ لم تكن لقصد إقامة الحجة على الناس فحسب، دون الاهتمام لهدايتهم، بل إنه كان يصيبهم الحزن والأسف على عدم قبولهم لدعوة الإيمان، ويدعو لهدايتهم ويحرص عليهم.[6]

ثانياً: وفي عبادته كان النبي ﷺ يعمل العمل ودافعه الرحمة بأصحابه، ويترك العمل – وهو يُحبه– خوفاً أن يفرض عليهم، فيشق عليهم، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا بِقَدح من ماء، فرفعه حتى ينظر الناس إليه، ثم شرب.

(1) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، عند ذكر حديث: (إنما مثلي ومثل الناس...) (2284).

(2) رواه الترمذي،دار إحياء التراث العربي– بيروت، (3942)، وقال: حسن صحيح غريب.

(3) رواه البخاري، (2937)، ومسلم: (2524).

(4) أخرجه ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1408هـ، 254/3 (973).

(5) رواه البخاري، كتاب الإستسقاء، (1007).

(6) انظر: منهج النبي ﷺ في أخلاقه، د. مصطفى سي يعقوب، ضمن الأبحاث العلمية للمؤتمر الدولي (نبي الرحمة مُحَمَّد ﷺ) 155/1.

فقيل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام، فقال: (أولئك العصاة، أولئك العصاة).[1]

وكان يترك العمل من العبادات وهو يحبه رحمة بأمته؛ كما قالت عائشة ﵂ : (كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيُفرض عليهم).[2]

وكان النبي ﷺ يَقْصر في الصلاة إذا سمع بكاء الصبي في المسجد؛ رحمة به وبأمه، فعن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: (إني لأقوم في الصلاة أريد الطول فيها، فأسمع بكاء الصبي؛ فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أُمِّه). [3]

بل كان يبتعد عن أي أمر يمكن أن يشق على أمته فلا يأمر به مع فضيلته، ومحبته له، كما جاء عن أبي هريرة – ﵁ – قال: قال رسول الله ﷺ: (لولا أن أشق على أمتي –أو على الناس – لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة).[4]

ثالثاً: وفي جهاده ﷺظهرت رحمته بالمؤمنين وعدم المشقة عليهم في المشاركة في الجهاد الذي لا يجب عليهم، فعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت النبيﷺ يقول: (والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفتُ عن سرية تغزو في سبيل الله). [5]

(1) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الفطر في شهر رمضان للمسافر، (1114).
(2) رواه البخاري، (1128)، ورواه مسلم، (718).
(3) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، (707) .
(4) رواه البخاري، (887).
(5) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، (36). ومسلم، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، (1876).

كما ظهرت رحمته في ساحات القتال، والتعامل مع الأعداء، فكان يقول لأمرائه: (اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناءً). [1]

وقال النبي ﷺ لرجل: (انطلق إلى خالد بن الوليد فقل له: إن رسول الله يأمرك يقول: لا تقتلنَّ ذُرية ولا عسيفاً). [2]

وبهذا تظهر أن شريعة النبي ﷺ شريعة رحمة على الإنسانية جمعاء.

المبحث الثالث

مكانة الرحمة في شخصية النبي الكريم

فالنبي ﷺ وصفه الله بأنه (**الْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**)[3]، " أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم". [4]وقال عنه أنس بن مالك ﷺ: (كان رسول الله ﷺأحسن الناس خلقاً). [5]

قال المناوي: "لحيازته جميع المحاسن والمكارم وتكاملها فيه، وكمال الخلق ينشأ عن كمال العقل؛ لأنه هو الذي يقتبس به الفضائل، وتجتنب الرذائل". [6]

(1) رواه أحمد في مسنده، (18122).

(2) رواه ابن ماجه في سننه، (2842).

(3) سورة التوبة (128).

(4) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، للشيخ: عبدالرحمن بن سعدي، 356.

(5) رواه البخاري: (6129) ومسلم: (1445).

(6) فيض القدير، للإمام زين الدين المناوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ. (5/ 90).

والنبي ﷺ بعث رحمة للعالمين، كما قال ابن عباس – رضي الله عنهما- : " كان مُحَمَّد ﷺ رحمة لجميع الناس، فمن آمن به وصدق به سَعِدَ، ومن يؤمن به سَلِمَ مما لَحِق الأمم من الخسف والغرق". (1)

فكان النبي ﷺ رحمة مهداة، كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يأيها الناس: إنما أنا رحمة مهداة). (2)

وقال النبي ﷺ: (أيما رجل من أمتي سببته أو لعنته لعنة في غضبي، فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني الله رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة). (3)

قال الإمام النووي: " هذه الأحاديث مُبينة ما كان عليه الرسول ﷺ من الشفقة على أمته، والاعتناء بمصالحهم، والاحتياط لهم، والرغبة في كل ما ينفعهم". (4)

وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه- قال : كان رسول الله ﷺيسمي لنا نفسه أسماء فقال: (أنا مُحَمَّد، وأحمد، والمُقَفّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة). (5)

فالنبي الكريم بُعث رحمة للعالمين، وقد تخلقت نفسه الزكية بخلق الرحمة، فطر عليها في جميع أحوال معاملته الأمة، لتكون مناسبة بين روحه الزكية، وبين ما يُلقى إليه من الوحي بشريعته التي هي رحمة حتى يكون تلقيه الشريعة عن انشراح نفس أن يجد ما

(1) تفسير القرطبي، للإمام: مُحَمَّد بن أحمد القرطبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى1427هـ، 350/11.
(2) رواه الحاكم، 91/1. وصححه.
(3) رواه أبو داود، (4659).
(4) شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الثاني 1392، 400/8
(5) رواه مسلم، (2355).

يوحى إليه ملائماً رغبته وخلقه، ولهذا خصه الله سبحانه وتعالى بوصف الرحمة، ولم يوصف به غيره من الأنبياء، وكذلك في القرآن كله. (1)

والنبي الكريم ﷺ مفطور على الرحمة، في أحواله كلها من شدة ورخاء، وقوة وضعف، ورضا وغضب، وصحة ومرض، ومع الجميع القوي والضعيف، الصغير والكبير، الموافق والمخالف.(2)

وقد ظهرت رحمته التي فُطر عليها في مواقف كثيرة، نقف على بعضها فيما يلي:

أولاً: ترغيبه في الرحمة: وقد ورد ذلك في نصوص كثيرة، فمن ذلك ماورواه عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق مُوفَّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال).(3)

ودعا النبي ﷺالناس إلى التراحم، فقال: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء). (4)

وأبان النبي ﷺعن اظهر أوصاف المؤمنين، وهي صفة التراحم فقال:(ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم ، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".(5)

(1) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 121/17-122.

(2) انظر: الرحمة خلق رسول الله ﷺ، د. مُحَمَّد بن عبدالله اللعبون، بحث منشور ضمن الأبحاث العلمية للمؤتمر الدولي (نبي الرحمة مُحَمَّد ﷺ) في 23-25 شوال 1431هـ.

(3) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف يها افي الدنيا اهل الجنة، (2865).

(4) رواه الترمذي، (1924)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(5) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الرحمة بالناس والبهائم، (6011)، ومسلم في كتاب: البر والصلة، باب:

=

وقد بوب عليه الإمام ابن حبان رحمه الله بقوله: ذكر تمثيل المؤمنين بما يجب أن يكونوا عليه من الشفقة والرأفة. [1] وقال ﷺ مرغباً في الرحمة لجميع أصناف الخلق، ومافيها من الثواب، (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء).[2].

وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: " لن تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على ما تحابوا عليه؟" قالوا: بلى يارسول الله. قال: " أفشوا السلام بينكم تحابوا، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا". قالوا يارسول الله: كلنا رحيم. قال: " إنه ليس برحمة أحدكم، ولكن رحمة العامة، رحمة العامة". [3] وأثنى الرسول ﷺ على الرفق فقال: (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله). [4]وقال النبي ﷺ: (من يحرم الرفق يحرم الخير).[5]

وحين يرى الناس المشاهد المؤثرة، يسمو ﷺ بتلك المشاهد ليذكرهم فيها برحمة الله، فعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: (قُدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى قد تَحَلَّبَ ثديُها، إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألزقته ببطنها

باب: تراحم المؤمنين، (2586).

(1) صحيح ابن حبان، (233).

(2) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب: في الرحمة، (4943)، والترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: رحمة المسلمين، (1924)،

(3) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب البر والصلة، باب: لا يشبع الرجل دون جاره، وصححه ووافقه الذهبي، 168/4.

(4) رواه البخاري، (6927).

(5) رواه مسلم ، (2592).

فأرضعته، فقال رسول اللهﷺ: " أترون هذه المرأة طارحةٌ ولدها في النار؟" قلنا: لا والله، فقال رسول اللهﷺ: " الله أرحم بعباده من هذه بولدها".[1]

كما أن الرحمة من تمام الأخلاق التي كان النبيﷺ يدعو بالهداية إليها، فعن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كام إذا قام إلى الصلاة قال: " اهدني لأحسن الأخلاق لايهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت).[2]

ثانياً: ثناء النبي ﷺ على الراحمين، فأثنى على أبي بكر رضي الله عنهما بقولهﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر).[3]

وأثنى النبي ﷺ على الأشعريين لما بينهم من التراحم، فقال: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسوية، فهم مني وأنا منهم).[4]

وعن أبي إسحاق السبيعي قال: كنا عند جرير بن عبدالله في بعث بأرمينيا قال: فأصابتهم مخمصة أو مجاعة، قال: فكتب جرير إلى معاوية إني سمعت رسول الله ﷺ

(1) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (5999)، ومسلم، كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (2754).

(2) رواه مسلم: (1762).

(3) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب: مناقب معاذ بن جبل، (3791)، وقال: حسن صحيح.

(4) رواه البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعرض، (2486)، ومسلم: في كتاب الفضائل، باب: فضل الأشعريين، (2500).

يقول: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عزوجل). قال: فأرسل إليه ، فأتاه، فقال: آنت سمعته من رسول الله؟ قال نعم. قال: فأقفلهم، ومتعهم.[1]

ثالثاً: إن النبي ﷺ جاء للناس رحمة وميسراً عليهم، وأن الشقي هو من نُزعة منه الرحمة، كما قال ﷺ: " لا تُنزع الرحمة إلا من شقي".[2]

فلا صلاح ولا خير فيمن فقد الرحمة؛ " لأن الرحمة في الخلق رقة القلب، ورقته علامة الإيمان، ومن لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شَقيٌّ، فمن لا يرزق الرقة شَقِيَ".[3]

رابعاً: تطبيقه عملياً للرحمة، وقد ظهرت ذلك في مواقف عظيمة، فمن ذلك:

- رحمته بأمته في الدنيا ألا يصيبهم هلاك فيخسروا في دينهم أو دنياهم:

فقد بعثه الله رحمة، قال القاضي عياض: " وأما إحسانه وإنعامه على أمته، فكذلك قد مرّ منه في أوصاف الله تعالى له: من رأفته بهم ورحمته لهم، وهدايته إياهم، وشفقته عليهم، واستنقاذهم من النار، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، ورحمته للعالمين، ومبشراً ونذيراً وداعاً إلى الله بإذنه، ويتلوا عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم إلى صراط مستق يم، فأي إحسان أجلُّ قدراً، وأعظم قدراً من إحسانه إلى جميع المؤمنين!"[4].

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، 361/4.

(2) رواه أبو داود، كتاب: الأدب، (4942)، والترمذي، كتاب: البر والصلة، (1923)، وقال: حديث حسن.

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، 422/6.

(4) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض اليحصبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى 1434هـ، 160.

فأما ما يتعلق بشأن دينهم من ذلك ماجاء عن صفية ﵂ قالت: " كان النبي ﷺ معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني- وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد- فمرّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبيﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ(على رِسلِكُما، إنها صفية بنت حُييّ). فقالا: سبحان الله يارسول الله! قال: (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً – أوقال: شيئاً). [1]

قال القاضي عياض: "هو إشفاق منه على أمته، فقد كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وخشيته من ظنهم به شيئاً فيَهلِكوا". [2]

- رحمته بمن سكن القبور:

فكان النبيﷺ يتفقد أصحابه، ويسأل عنهم، ومن ذلك أن امرأة كانت تَقُمُّ المسجد ففقدها النبي ﷺ فسأل عنها. فقالوا: ماتت. فقال ﷺ: " أفلا كنتم آذنتموني.. دلوني على قبرها" فصلى عليها، ثم قال: " إن هذه القبور مملوءةٌ ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم". [3]

قال الإمام النووي: (فيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع والرفق بأمته، وتفقد أحوالهم، والقيام بحقوقهم). [4]

(1) رواه أبو داود في سننه، 2470 و 2471.

(2) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض،دار الوفاء، الطبعة الأولى 1419هـ، 30/7.

(3) رواه البخاري، (1337)، ومسلم: (956).

(4) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، 30/4.

وزار النبي ﷺ قبر أمه يوماً فبكى وأبكى من حوله، وقال: (إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي، فدمعت عيناي رحمةً لها من النار، واستأذنت ربي في زيارتها فأذن لي..)[1]

- رحمته بأمته في يوم القيامة:

فقد خبَّ دعوته المستجابة لتكون شفاعة لأمته يوم القيامة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– عن رسول الله ﷺ قال: (لكل نبي دعوةٌ قد دعا بها أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة). [2]

قال الإمام ابن رجب – رحمه الله– بعد أن ساق هذا الحديث وغيره : (والمراد من هذه الأحاديث – والله أعلم– أن كل نبي أُعطي دعوة عامة شاملة لأمته، فمنهم من دعا على أمته المكذبين له فهلكوا، ومنهم من سأل كثرتهم في الدنيا كما سأله سليمان، واختص النبي بأن أدخر تلك الدعوة العامة الشاملة لأمته شفاعة لهم يوم القيامة). [3]

وفي الموقف العظيم حين يجمع الله الأولين والآخرين، أما الواحد القهار يوم القيامة، حين يبلغ الناس من الغم والكرب ملا يُطيقون، فيفزعون إلى آدم ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى، وكلهم يقولون اذهبوا إلى غيري، حتى يقول عيسى عليه السلام:(اذهبوا على غيري اذهبوا إلى مُحَمَّد فيأتون إلى مُحَمَّد ﷺ فيقولون يامُحَمَّد: أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما

(1) رواه أحمد في مسنده، 111/38، (230039).
(2) رواه مسلم، (199).
(3) فتح الباري، لابن رجب، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية 1422هـ، 24/2.

نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد من قبلي، ثم يُقال: يامُحَمَّد، ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تُشفع، فأرفع رأسي فأقول: ياربِّ أمتي أمتي..).[1] فحتى في كُرب يوم القيامة التي تّذهل الناس، تبلغ شفقة النبي ورحمته بأمته، أن يسأل الله الرحمة بأمته.

قال الإمام النووي – رحمه الله–: " هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه لأمرهم".[2]

- رحمته بأعدائه حين يقدر عليهم، ففي فتح مكة حين اجتمعت صناديد قريش وعظماؤها عند الكعبة، وهم من أخرجوا النبي وعذبوا وقتلوا أصحابه، وقاتلوه، قال لهم النبي الكريم ﷺ: (يامعشر قريش ماتقولون؟) قالوا: نقول: ابن أخ أو ابن عم رحيم كريم، ثم عاد عليهم القول، فقالوا مثل ذلك. قال:(فإني أقول كما قال أخي يوسف: " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين") فخرجوا فبايعوه على الإسلام.[3]
- رحمته بالنساء:

ففي بيت النبوة " ولما امره الله تعالى بتخيير نسائه في قوله سبحانه (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا**

(1) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، (334)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، (194).

(2) المنهاج شرح النووي على مسلم، 78/3.

(3) رواه النسائي، كتاب التفسير، سورة الإسراء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1411هـ، (11298).

جَمِيلًا)[1] بدأ بعائشة رضي الله عنها- فقال: (ياعائشةُ إني اريد أن أعرض عليك أمراً أُحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك). قالت: وما هو يارسول الله؟ فتلا عليها الآية. قالت: " يارسول الله استشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلتُ" قال: (لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها؛ إن الله لم يبعثني مُعنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً مُيسراً). (2)

وحين بايع النبي ﷺ النساء تروي أميمة بنت رقيقة ذلك الموقف، فتقول: " أتيت النبي ﷺ في نسوة من الأنصار نبايعه، فقلنا: يارسول الله، نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف." قال ﷺ: (فيما استطعتن، وأطقتن). قالت: قلنا: " الله ورسوله أرحم بنا، هلم نبايعك يارسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو مثل قولي لامرأة واحدة). (3)

وحين أصيب المسلمون في واقعة مؤته في أول مواجهة مع الروم، وأصيب قادة المسلمين، وفي وقت انشغال النبي ﷺ بأخبار الجيش، وحزن النبي ﷺ على مقتل قادته الثلاثة، وفي زحام تفكير النبي ﷺ بذلك يتذكر بيت جعفر بن أبي طالب، فيشفق عليهم ويأمر بصناعة الطعام لهم، فعن عبدالله بن جعفر قال، لما جاء نعي

(1) سورة الأحزاب (28) .

(2) رواه مسلم، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، (1478).

(3) رواه الترمذي، كتاب السير، باب: بيعة النساء، (1597)، وقال: حسن صحيح. ورواه النسائي، كتاب البيعة، باب: بيعة النساء، (4181).

جعفر ﷺ قال النبي ﷺ: (اصنعوا لآلِ جعفر طعاماً؛ فقد أتاهم أمر يشغلهم أو أتاهم ما يشغلهم). [1]

- رحمته بالشباب:

يشعر النبي ﷺ بأصحابه وجلسائه، وتشملهم رحمته وعطفه، فعن مالك بن الحويرث قال: أتينا إلى النبيﷺ، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فلما ظن أنّا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، فقال: (ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم – وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها– وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم). [2]

- رحمته بالصبيان:

فعن عائشة –ﷺ– قالت: جاء أعرابي إلى النبيﷺ، فقال: أتقبلون الصبيان! فما نقبلهم، فقا ل النبيﷺ: (أوَ أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة). [3]

وعن أبي حكم الغفاري قال: حدثتني جدتي عن عمّ أبي رافع بن عمرو الغفاري، قال: كنت غلاماً أرمي نخلَ الأنصار، فأُتي بي النبي ﷺ، فقال: (ياغلام لم ترمي

(1) رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب صنعة الطعام لأهل الميت، (3132)، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يُصنع لأهل الميت، (1610).

(2) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، (628)، ومسلم كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة، (674).

(3) رواه البخاري، كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يُعطي المؤلفة قلوبهم(3149).

النخل؟)، قال: آكل. قال: (فلا ترم النخل، وكُل مما يسقط في أسفلها)، ثم مسح رأسه فقال: (اللهم أشبع بطنه).[1]

وقبّلﷺ الحسن، فتعجب من ذلك الأقرع بن حابس، وقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فقال له النبي ﷺ: (من لا يرحم لا يُرحم). [2] وكان النبي ﷺ يضع أسامة بن زيد على فخذه والحسن على فخذه الآخر، ثم يقول: (اللهم أرحمهما فإني أرحمهما). [3] وبوب عليه البخاري –رحمه الله– : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

وقد أجمع القول في ذلك خادمه أنس بن مالك بقوله: " ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ" .[4]

- رحمته بالعبيد والخدم:

ففي أخر لحظات النبي التي تبقت له من الدنيا يوصي الناس بقوله ﷺ: (الصلاة الصلاة، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم). [5]

ونهى النبي ﷺ عن التفريق بين الوالدة وولدها، فقالﷺ: (من فرّق بين والدة وولدها، فرّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة).[1]

(1) رواه أبو داود في سننه، باب: من قال إنه يأكل مما يسقط، (2624)، وابن ماجه: باب: من مر على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه، (2299).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، (5997).

(3) رواه البخاري، كتاب الأدب، (5998).

(4) رواه مسلم، في كتاب الفضائل، (2316).

(5) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في حق المملوك، (5156)، وابن ماجه، كتاب الوصايا، باب هل وصى رسول الله ﷺ، (2698). عن علي بن أبي طالب – ﷺ–.

- رحمته في موقف الموت وفراق الدنيا:

فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: " رأيتُ رسولَ الله ﷺيُقَبِّل عثمان بن مظعون وهو ميّتٌ حتى رأيت الدموع تسيل". ولفظ الترمذي: "أن النبي ﷺقَبّل عثمانَ بن مظعون، وهو ميّتٌ وهو يبكي، أو قال: عيناه تذرفا". (2)

وحين أرسلت له إحدى بناته تدعوه، وتخبره أن صبياً لها أو ابناً لها في الموت، قام النبي ﷺ ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، فدفع الصبي له، ونفسه تَقَعْقَعُ كأنها في شَنٍّ، ففاضت عيناه، فقال له سعد: يارسول الله ماهذا؟ قال: (هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء). (3)

قال الحافظ ابن حجر: " فيه الترغيب في الشفقة على خلق الله، والرحمة بهم، والترهيب من قساوة القلب وجمود العين". (4)

- رحمته بصحابته الذين أصابتهم الفاقة والحاجة:

فعن جرير بن عبدالله قال: كنا عند رسول اللهﷺ في صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة، مجتابي النِّمار أو العباءة، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتغير وجه النبي ﷺ؛ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً

---

(1) رواه أبو الترمذي في سننه، كتاب السير، (1566).

(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب تقبيل الميت،(3163)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب حدثنا زياد بن أيوب،(989).

(3) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺيعذب الميت ببكاء أهله عليه، (1284)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، (923).

(4) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، 151/3.

فأذن وأقام الصلاة، فصلى، ثم خطب، فقال: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**)[1] (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**)[2]ثم قال: (تصدق رجل من دينار، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة). قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذْهَبَة.[3]

وبهذا يتبين لنا أن من أخص صفات النبي الكريم مُحَمَّد ﷺ أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وأن من أعظم أسمائه أنه نبي الرحمة، وأن رحمته وسعت الدواب والإنسان الموافق والمخالف.

الخاتمة

فأحمد الله على ما منّ به علي من إتمام هذا البحث، والذي انتهيت فيه إلى النتائج التالية:

- أن الرحمة من أجل صفات النبي ﷺ التي ذكرها الله عنه.
- أن رقي الأمم في حضارتها وحياتها المدنية لا يكون إلا بعلو أخلاقها وقيمها ومن ذلك قيمة الرحمة.

(1)سورة النساء (1).

(2)سورة الحشر (18).

(3) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، (1017).

- بالرحمة والرفق تعمر الديار، ويرتقي الإنسان، وتصلح الأرض.
- الرحمة وسائر الأخلاق والقيم الإسلامية لها ارتباط وثيق بالعقيدة والعبادة والسلوك الإنساني.
- أن اسم الرحمة موضوع في اللغة العربية: لرقة الخاطر وانعطافه نحو حيٍّ، بحيث تحمل من اتصف بها على الرفق بالمرحوم والإحسان إليه، ودفع الضر عنه، وإعانته على المشاق.
- أن الرحمة من الأصول الخُلقية وكلياتها العامة، وأن من فروعها: بر الوالدين وصلة الرحم، والعطف على الفقراء والمساكين، وغير ذلك.
- أن من معاني الرحمة التي دلت عليها اللغة والشريعة: الرفق، واللين، والعطف.
- ومن أظهر مجالات الرحمة التي جاءت في الكتاب والسنة: الرحمة في الصلة القائمة بين الله وعباده، والرحمة في الصلة بين الإنسان وأخيه، وبين الإنسان وذاته، وبين الإنسان والدواب.
- أن مظاهر رحمة النبي الكريم مُحَمَّد ﷺ تجلت في دعوته وعبادته وجهاده.
- كانت شخصية الرسول الكريم مجبولة على الرحمة، وأبانت سيرته على كثير من المواقف التي تُظهر رحمته: بالناس جميعاً الموافق والمخالف، وبالنساء والصغار، والضعفاء وذوي الحاجة.

التوصيات:

- إقامة البرامج الإعلامية التي تُظهر مواقف رحمة النبي ﷺ بلغات متعددة.
- العمل على تأليف موسوعة تختص بجانب الرحمة في سيرة المصطفى ﷺ

هذا ما تيسر جمعه في هذا الموضوع، والله أعلم وأحكم وصلى الله وسلم وبارك على نبي الرحمة ﷺ وعلى آله وصحابته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.